

13/05/2019 أخبار السوريين

عودة مظاهر الثقافة والفنون إلى الرقة بعد سنوات انقطاع



تملأ الكتب رفوف المكتبة الواسعة وتغطي اللوحات جدران غرفة أخرى، بينما يرقص فتيان وفتيات بثياب تقليدية على نغمات الموسيقى الشعبية في المسرح. مشاهد تتنوع في المركز الثقافي الأول في مدينة الرقة منذ طرد الجهاديين منها، هذا ما أورده تحقيق أجرته وكالة الصحافة الفرنسية في المدينة السورية التي كانت معقل تنظيم داعش الإرهابي».

ويتحدث زياد الحمد (64 عاماً) بكل فخر عن المركز الذي يرأسه. يجلس بين رفوف الكتب والمجلدات القديمة ويقول: «لم نكن نصدق بأن نعود في يوم من الأيام بعد كل الدمار الذي نكبته به المدينة، ليكون لدينا مركز ومكتبة ومسرح وموسيقى».

وافتتحت مدينة الرقة في أبريل (نيسان) الماضي، مركزها الثقافي الجديد ليكون بديلاً عن أكثر من 20 مركزاً آخر كان التنظيم المتطرف دمرها أو أغلقها خلال فترة سيطرته على المدينة التي كانت تشكل معقله الأبرز في سوريا قبل طرده منها في أكتوبر (تشرين الأول) 2017.

وكان أحد أكبر المراكز الثقافية في الرقة يحوي مكتبة ضخمة تضم أكثر من ستين ألف كتاب، إلا أن الإرهابيين لم يتركوا منه سوى ركام بعد إحراق كافة محتوياته ثم تدميره.

ويقول الحمد الذي غزا الشيب شعره إن «الكتب التي ترونها اليوم أخرجناها من تحت ركام أماكن كثيرة، وبعض الأشخاص احتفظوا بالكتب في المراكز الثقافية في الريف وأخفوها بعيداً عن «داعش»، وأعادوها إلينا بعد تحرير المدينة».

وللمرة الأولى منذ العام 2014. يستطيع الفنانون عرض رسوماتهم أو منحوتاتهم من دون خوف من الاعتقال



والملاحقة، ويستطيع محبو الفن التجول بين المعارض المختلفة في المركز الثقافي، وحضور مسرحياته أو الاستعانة بمكتبه من دون خشية.

وتتجول فوزية الشيخ (30 عاماً) بين غرف المركز خلال مشاركتها في حفل افتتاحه. وتقول: «إنه شعور بالسعادة لا يوصف». وتضيف: «انتقلنا من الدمار، ولا ثقافة ولا فن إلى مركز سنسمع فيه الموسيقى والشعر، إننا ننتقل من الظلام إلى النور».

اختار مجلس الرقة المدني مبنى متضرراً نسبياً وأعاد ترميمه ليكون مقراً لـ«مركز الرقة للثقافة والفنون». ويتألف من طابقين، الأول يضم قاعة المسرح وصالة معرض للرسومات والمنحوتات ومكاتب مخصصة لأقسام أخرى، أما الطابق الثاني فيضم المكتبة الكبيرة برفوفها المليئة بالكتب، وإن كان بعضها لا يزال ينتظر أن يُملأ.

في المسرح، يختلط قرع الطبل وأنغام الربابة مع أصوات رجال يرددون الأغاني التقليدية الآتية من منطقة شرق الفرات، فيما يرقص أمامهم فتيان بعباءات رمادية مع فتيات يتألفن بعباءات تقليدية مزركشة باللون الذهبي.

في قاعة المعرض، منحوتة تظهر امرأة ترضع طفلها وأخرى لرجل ينحني أرضاً، فيما تتنوع اللوحات التي تملأ الجدران بين مشاهد طبيعية ملونة لبحر أزرق أو جبل يغطيه الثلج أو آخر أخضر تماماً، وأخرى باللونين الأبيض والأسود لفتاة مبتسمة أو امرأة يتدلى شعرها فوق كتفها، أو حتى لقدم تمشي. بعض هذه اللوحات موقعة باسم أمل العطار (37 عاماً)، الفنانة التشكيلية التي اختارت العودة إلى الرقة بعد سنوات من اللجوء في لبنان. وتقول العطار لـ«الصحافة الفرنسية»: «بالنسبة لنا المركز هو عبارة عن ولادة جديدة في الرقة».

قد لا تنسى العطار ما عانته خلال فترة سيطرة التنظيم المتطرف على مدينتها، لكنها تبدو واثقة من قدرة المدينة على التعافي.

قبل سنوات، دخل إرهابيو «داعش» إلى مرسم العطار الذي كانت تتشاركه مع فنانيين آخرين، وأبلغوهم أن ما يقومون به «حرام» ويجب طلب التوبة، فما كان منها سوى أن جمعت أغراضها وغادرت المدينة. وتقول: «كان لدي خمسون عملاً معظمها يتعلق بتراث الرقة وقد أحرقها داعش».

وفي 23 من مارس (آذار) الماضي، أعلنت «قوات سوريا الديمقراطية» القضاء على «خلافة» تنظيم داعش بعد طرده بدعم من التحالف الدولي بقيادة أميركية من جيبه الأخير في بلدة الباغوز في أقصى الشرق السوري.

إلا أن خطر التنظيم المتطرف لم ينته إذ لا يزال ينشط من خلال خلايا نائمة تنتشر من دير الزور إلى الرقة، فضلاً عن مقاتلين منتشرين في مناطق صحراوية نائية.

وشنّ التنظيم المتطرف اعتداءات عدة في مدينة الرقة بعد طرده منها، وهي التي لا تزال آثار المعارك العنيفة من دمار وفوضى تطغى عليها برغم عودة عشرات آلاف السكان إليها.

ورغم الذكريات السيئة التي طبعها الإرهابيون في ذاكرته، ترتسم على وجه المغني الشعبي ملك اليتيم (60 عاماً) ابتسامة واسعة وهو يتنقل بين كراسي مسرح مركز الرقة الثقافي الحمراء اللون.

ويقول اليتيم إن مقاتلي «داعش كسروا أجهزتي الموسيقية، ومنعوني من الغناء، كنا مثل البلبل في القفص (...)



قمنا بأي شيء، إما أن يقطعوا رؤوسنا أو يكون الجلد من نصيبنا».

ويضيف الرجل الذي وضع كوفية بيضاء على رأسه وارتدى عباءة داكنة: «الآن أشعر وكأنني طير يحلق في السماء، والسما صافية والجو ربيع».

المصدر: الشرق الأوسط